الشَّاطِئُ الأَخِير

الشاطئ الأخير: روايةٌ من الخيال العِلمي
الكاتب: عمرو الرديني
إخراج فني: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 21297 / 2019
الترقيم الدولي: 0 - 069 - 844 - 977 - 978

دار الزيات للنشر والتوزيع :**Facebook Page**
E_mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات
المدير العام/ أ. محمود محروس إبراهيم
01066736765 - 01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار الزيات المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / **49351**

الشَّاطِئُ الأَخِيرُ

رواية من الخيالِ العلمي

الكاتِبُ

عَمْرُو الرُّدَيْنِيُّ

دار الزيات للنشر والتوزيع
صدق حلمك يتحقق

إهْدَاءٌ

إلى نُقطةِ المياه..!

ذلك الشيء الصغير، الذي هو:

سرُّ الحياة...

عمرو عادل الرديني

دمنهور

ديسمبر- 2014م

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾

[سورة الأنبياء الآية: 30]

مُقدِّمةٌ

الشاطئُ الأخير..

هل هو الشاطئ الأخير للنجاة، أم الشاطئ الأخير للهلاك؟

ذلك ما ستعرفه وأنت تقرأ تلك الرواية الخياليَّة، والتي حاولتُ أنْ أمزجَ فيها بين الواقع، والخيال.. بين الحقائق، والتوقُّعات.. بين الماضي، الحاضر والمستقبل..

وقد كتبتها أثناء استماعي لموسيقا فيلم (**رسائل البحر**)، للموسيقار "**راجح داود**"، فإذا كنت تريد أن يصلك الإحساس كاملًا بالأحداث، فأنصحك بالقراءةِ على أنغامِ تلك المعزُوفة الرائعة..

كما اعتمدتُ في الحقائقِ العلمية على بعضِ المصادر الإلكترونية، مثل:

مجلة (**أخبار البيئة الإلكترونيَّة**)، وموسُوعة (**ويكيبيديا الحرة**)، وكذلك موقع (**السلام الأخضر**)..

آملًا في النهاية أن تتحقَّق المتعة، والفائدة من وراء ذلك العمل المُوجَّه للشباب، الذين هُم الأمل في غدٍ أفضل.

والله مِن وراءِ القَصْد،،

المُؤلِّف

❋ ❋ ❋

الفصلُ الأوَّل

شاطئٌ بِلا مياه!

كوكب المريخ- 2100 م

الصخور تحيط بك.. الصخور تحيط بي.. الصخور تحيط بنا..!

مهما حاولت تجميل المكان، تزيين الأحجار، تلوين الرمال.. يبقى شيءٌ ما ناقصًا.. ربَّما هي الروح.. روح المكان، روح الأرض، روح الحياة.

هل أخطأنا بمجيئنا هنا؟

هل ندفع الآن ثمن هروبنا؟ سنوات مرَّت قبل ذلك اليوم الحالي، اليوم الهادئ هدوء الموت..

أحيانًا أفكِّر في إخواننا هناك..

في الأسفل..! لا أعرف لماذا شاع بيننا ذلك التعبير: «**في الأسفل**»..؟

نحاول أنْ نُثبت لأنفسنا بأنَّنا نحن الأعلى، نحن الأفضل، الأقوَى...

الحقيقة بكلِّ أسف نحن الأكثر أنانيَّة، الأكثر طمعًا، وجشعًا..

أنظرُ الآن للصخور المُلوَّنة كمهرجٍ فَقَدَ القدرة على الابتسام.. هل وصُولنا هنا منذ قرابة القرن، واستيطاننا ذلك الكوكب القاسي هو ما أثَّر على تلك الصخور؟ أمْ جمودها هو ما ترك بصمته علينا، وعلى قلوبنا فأضحينا متشابهين؟

نحن، والصخور..

ملامحنا تشابهتْ، قلوبنا ازدادتْ قسوة، عقولنا امتلأتْ بالفراغ...

نحن، الصخور، أجهزتنا المتطوِّرة، أموالنا الطائلة، نظرتنا المُتعاليَّة، ولا شيء آخر.. بالفعل لا شيء!.

* * *

كم أكره تلك اللحظات..!

لحظات وجودي داخل (**أنبوبة تجميع المياه**).. طقس يومي بغيض أفعله، ويفعله الجميع هنا كل صباح..

بمجرَّدِ الاستيقاظ أتَّجه مباشرةً إلى تلك الأنبوبة الأسطوانيَّة المائلة إلى الوراء.. أفتح بابها الزجاجي، وأتمدَّدُ داخلها.. أضغط على زرٍّ أحمر صغير بجوار رأسي من اليمين.. يصلني ذلك الأزيز، وتتراجع الأنبوبة للوراء تدريجيًّا.. أحاول أنْ أرخي جميع أعصابي.. تنبعث موسيقا هادئة من فتحاتٍ خاصَّة من الجانبين.. موسيقا تبعث على الملل أكثر مِن الانسجام!

استمعتُ ذات يوم لمقطوعةٍ موسيقيةٍ مِن موسيقا (**الأرضيِّين**) من القرن الماضي.. هرَّبها أحدهم قبل أن ينال جزاءه بالإعدام.. الإعدام هنا هو الحِرمان من دخول تلك الأسطوانة التابوتية التي أنا بها الآن!

ليتهم يحرمونني منها ويُريحوني.. دخولها اليومي في حدِّ ذاته إعدام.. يومها استطاع ذلك المُهرِّب المجنون أن يُثَبِّت تلك المقطوعة على جميع أنابيب تجميع المياه، عن طريق برنامج خاص موجود في غرفةِ التحكم الرئيسيَّة..

كان صباحٌ من أمتعِ الصباحات التي عِشتها.. يومها فقط أحسستُ بوجودي، وتذوَّقتُ طعمَ الحياة.. كانت المقطوعة لموسيقار قديم من

(**الأرضيّين**) على ما أذكر اسمه "**راجح داود**".. هو مصري على ما أظن، لم يعد هناك جنسيَّات اليوم.. هناك فقط: (**مرّيخيّون، وأرضيّون**)..

كانت موسيقاهُ هادئة، لكنَّه هدوء ساحر.. عزف يأخذك لمراتب من الخيال افتقدناها هنا.. تشعر بأنك تُحلِّق في فضاءٍ رَحِب..

إذن لقد فعلها، ودسَّ تلك الموسيقا الممنُوعة هنا لتتوَغل في مسامع الجميع، في مسامهم، في خلاياهم، عقولهم، وقلوبهم!

الغريب في الموسيقا أنَّها تعيش معك فترات طويلة.. تسكُن داخلك دُون استئذان.. تطاردك في أوقاتِ عملك، وفراغك.. صَحْوك، ومنامك..

أتخيَّل تلك الابتسامة المرسُومة على وجهِهِ أثناء تشغيله للمعزوفة.. أراه لا يأبَه بما سيناله من عقوبة..

هل كان يُدرك بأنَّه سيترك ذلك التأثير في نفوسِ جيلٍ كاملٍ مِن شبابِ (**المرّيخيين**)؟ تأثير لم تستطع أنْ تفعله مئات من المُحاضرات الغبيَّة، والخُطب الجوفاء التي يحاولون بها قتل أرواحنا، وإقناعنا بأنَّنا جيل محظوظ، وأنَّ الغدَّ هو الأفضل.

أغبياءٌ..

ظنُّوا أنَّ بإيقافهم للَّحنِ الساحر، وقتلهم لصاحب الجريمة أنهم قضوا على الفتنة.. الفتنة هنا ليست دينيَّة.. فالحريَّة العقائديَّة باتت مكفُولة للجميع، بَيد أن الحُريَّة التخيُّلية أضحت مِن المُحرَّمات!

لا يفقهُون أنَّ الموسيقا –**رغم كونها لم تتجاوز الدقيقتين**– قد توغَّلت في عروقنا توَغُّل الدماء في الوريد..

كلُّ شاب اليوم في (المرِّيخ) يعزف اللحن يوميًّا في رأسه.. ومن يدري؟ قد يكون هناك مِن الكبار مَن قد انسحبتْ روحه، وتخبطتْ حياته.

دقيقتين وقت ضئيل في عمومِ الأشياء.. طويل في سرقةِ الأرواح..

لحظات كحلمٍ جميلٍ مرَّت قبل أنْ ينتبه المسؤولون.. لحظات أخرى وانتهَى الحلم، انتهتْ الموسيقا، وانتهى عُمر الرجل المجنون!

أعتبرهُ بطلًا شجاعًا.. فقد أيقظ داخلي روحًا كانت مُتوارية.. مِن يومها يأخذني الحنين للأسفل.. للأصل.. لـ(**الأرض**).

الآن لا تصل إلى أذني سوى تلك الموسيقا البلهاء..

هي أشبه بالموسيقا الجنائزيَّة.. ربَّما تشبه أكثر تلك الصخور.

بعدما ضغطتُ على زرِّ التشغيل، وبعد أن بدأتْ الأنبوبة في الرجوع للخلف حاولتُ إرخاء أعصابي.. ربَّما لم أنجح سوى بعد أنْ بدأتُ أعزف في عقلي موسيقا (**الأرضيِّين**).. لحظات وبدأتْ درجة الحرارة في الارتفاع.. أعتقد أنَّ ما أنا بداخله يشبه شيئًا كان يوجد في الماضي يُسمُّونه (**الساونا sauna**)..

لكنهم كانوا يستخدمونه في الماضي للتخسيس، وإنقاصِ الوزن.. أمَّا هنا فلتجميع المياه من خلايا الجلد!

هُنا كل شيء شحيح..

أعتقد لأنَّ أهم شيء لم يعد له وجود.. الماء.. لا ماء هنا، بالتالي لا جَمال، لا عَطاء.. صحيح هنا حياة، لكنَّها حياة فاقدة للروح!

بدأ جلدي في عمليةِ الإفراز.. إفراز العَرق..

الطريقة الوحيدة هنا لجلبِ المياه، والحفاظ على استمرارِنا.. عندما تتعرَّض أجسامنا لدرجةِ الحرارة العالية داخل أنابيب تجميع المياه، تفرز

أجسادنا الكثير مِن العَرق، الذي تقُوم أنسجة رقيقة تحيط بنا بشفطهِ، وتجميعه.. ثم يدخل ذلك العرق في مراحل مُعقَّدة، الهدف منها هو إعادة حقننا به كبديلٍ للماءِ الطبيعيِّ..

لم نعد نتبوَّل، أصبحنا كمومياوات!

لا فائض من الماء حتى نهدره في البول.. أضحينا أشبه بمرضى القرن الماضي من (**الأرضيِّين**) عندما كانت تُركب لهم المحاليل.. بِتنا مرضَى (**مريِّخيِّين**) مغرورين..

كلُّ صباح، وبدلًا من توجُّهنا إلى دورةِ المياه فَور الاستيقاظ، نخلع ملابسنا وندخل في شرنقةٍ زجاجيةٍ مُزعجة..

يتم تسخيننا، وكأننا داخل جهاز (**ميكروويف microwave**) كبير، ثم نخرج بعد دقائق هي الجحيم بعينه –**ربَّما لوجود تلك الموسيقا الباهتة**– نرتدي ملابسنا مرَّة أخرى، ونتناول حقنة المياه المُثبَّتة على جسمِ الأنبوبة من الخارج، لنأخذ جرعتنا اليوميَّة التي تعيننا على الحياة..

اليوم انتابتني مشاعرٌ مُختلفة..

حنين للشُربِ.. شعور بالظمأِ عمره عشرات السنين.. اشتياق لسريانِ الماء بجسدي.. فضول لرؤية وظيفة أخرى لذلك (**العضو التناسلي**)!

* * *

أمام تلك اللافتة الإلكترونيَّة، والتي كُتب عليها باللَّون الأصفر الفسفوري (**م1**).. وقف ذلك الرجل الأربعيني لحظات، ثم تقدَّم بضعةَ أمتار أخرى حتَّى وصل أمام البوَّابة المجازيَّة، وما إنْ ضبط موقع رأسه أمام شعاع الـ(**ليزر**) الأزرق الذي ينطلق من نقطة بعينها، حتى انفتحتْ البوَّابة، فمدَّ ساقه الطويلة داخلها، ليجد نفسه قد انتقل إلى رُدهةِ "**رئيس الحكومة المرِّيخيَّة**".

في الرُدهةِ الحلزونيَّة مرَّ على عدَّةِ نقاط تفتيشيَّة من خلالِ شاشات رقيقة مُثبَّتة على الجدران تفضح كل شيء، حتى أنها تكاد تَشِي بما يفكر فيه في تلك اللحظة.. غير أنه حقيقةً لم يكن يفكر في أيِّ شيء!

لحظاتٌ أخرى، وكان يقف أمام باب حجرة الرئيس التي هبط بابها لأسفل، بينما عَبَرَ الرجل بثقةٍ للداخل..

كانت الحجرة فسيحة.. لها نافذة شفَّافة للرؤية فقط، لا تُفتح لأنها ببساطة تخبرك بأنك في الطابق رقم (500)، وأنك في أعلى نقطة سكنيَّة على الكوكب..

يتوسَّط الحُجرة مكتب مثلث الشكل، يجلس أمام أحد أضلاعه رجل كبير المقام، والعُمر، ومهما كانت فراستك، فلن تستطيع التكهُّن بعمره..! لكنك بدون أدنى مجهود تستطيع أن تُدرك مدى سطوته، وذكاءه، وربما قسوته..!

جلسَ الرجلُ الأربعينيُّ من فوره، رغم تأفُّفه الذي بدا جليًّا عليه عند استنشاقه لذلك الدُّخَان.. الأمر الذي جعل الرئيس يضحك بعنفٍ حتى تملَّكهُ السُعال، ثمَّ ما لبثَ أن هدأ، ليخاطبه بلهجةٍ هادئة:

- تُذكِّرني بزوجتي التي تتأفَّف عبر شاشة الاتصال، وكأنَّ الرائحة تصل إليها..

ردَّ عليه الرجل الأربعينيُّ، وهو يعبث بمُجسَّم لكوكب (المرِّيخ) على هيئةِ كوب ماء فارغ:

- **التدخين**.. تلك العادة القبيحة التي أتينا بها من الأرض.. ألا تستطيع التخلِّي عنها؟!

- أبدًا.. كما لا تستطيع التخلِّي عن (**أنبوبة تجميع المياه**)..

- لكنك تلوِّث (**المرِّيخ**)، كما لوَّث أهلك (**الأرض**)..

- ألا تنسى أبدًا أصلي (**الأمريكي**)..؟

- وهل نسيت أنت أصلي (**الإسرائيلي**)..؟

- المُفترض أننا هنا (**مرِّيخيين**) فقط، ولا وجود لجنسيَّاتٍ عقيمة..

- يا للسخرية.. (**أمريكي**)، و(**إسرائيلي**) يحكمُون (**المرِّيخ**)..! تمامًا كما حكمْنا يومًا (**الأرض**)..

- لا تنسَ شريكنا الثالث..

- هو الوحيد بيننا (**المرِّيخي**) الأصل، فهو مُستنسخ مِن (**مرِّيخي**) أوَّلي..

- بالحق.. أين هو؟.. لِمَ تأخر..؟

لم يكد ينهي جُملته، حتى دخل عليهما شاب هزيل الجسم، أصفر لون البشرة.. ذو عينين ضيقتين، كسكَّان شرق (**آسيا**).. أشار لهما بالتحيَّة، ثم جلس في عصبيَّة!

ابتسم الرئيس ابتسامة صفراء، ووجَّه كلامه لكليهما، قائلًا:

– ها قد اكتمل مُثلث الرئاسة.. أَروني ما لديكما..

على الفورِ قام الرجل (**الإسرائيلي**) الأصل، وتقدَّم من إحدى الشاشات التي تملأ الحجرة، ووضع شريحة بجانبها لتظهر عليها صورة لكوكب (**الأرض**)، ثم صورة لشيءٍ غامض مستطيل الحجم، وأشار ناحيته قائلًا بحزم:

– هذا ما نحتاج إليه في تلك المرحلة..

نحتاج إليه بشدة!

❋ ❋ ❋

الفصلُ الثاني

ميـاهٌ بلا شاطئ

كوكب الأرض- 2100 م

مياه.. مياه.. مياه...!

مياه أمامك، مياه وراءك، عن يمينك، وعن شمالك..

لا شيء هنا أكثر من المياه..

لا شيء هنا غير المياه..

مَهما جلت ببصرك لن تجد غير تلك الزرقة الكالحة..

ذلك اللون الباهت، الكئيب..

حتَّى عندما ترفع رأسك لأعلى ستجد نفس اللون في السماء..

تعتقد أن السماء هي أيضًا مياه طائرة..

لكنَّك تعرف أنَّ خلفها يكمُن حلمك..

فوق..

بعد تلك السُحب، بعد تلك الشمس الحارقة..

بعد سماء المياه تلك، أو مياه السماء..

يوجد ذلك الكوكب المُسمَّى بالـ(**مرّيخ**)..

حيث الهدوء، الراحة، التقدُّم، والحياة..

في (**المرّيخ**) –**ورغم كُرهك للمريخيّين**– توجد أهم ميزة..

هناك.. لا زُرقة.. لا مياه!

* * *

أستيقظُ من النومِ مُبكِّرًا..

ربَّما هي السادسة الآن.. على كلِّ حال لم تعُد هناك ساعات، ولم يعُد هناك أي أهمية للوقت!

سمعتُ من جدِّي حكايات عن الساعات..

دقائق، ثوان، والأغرب عقارب... توجد هُنا بعض العقارب، لكننا نتغذَّى عليها! أذكر أنَّ آخر عقرب وجدناه كان منذ فترة طويلة.. لعله كان تحت صخرة إحدى السيدات..

النساء كما هنَّ في كلِّ زمانٍ، ومكان..

صاحتْ تلك المرأة فزعًا لرؤيتها العقرب المسكين.. فما كان منِّي -**وكنت الأقرب لها**- إلا أنْ أمسكته بسرعة، وتخلَّصت من ذيلهِ السام، وأعددتُ إفطارًا شهيًّا حسدني عليه الكثيرون!

الطعام هنا صار شحيحًا، ولا يبتعد عن نطاقِ الماء..

الطعام هنا صنفٌ واحدٌ، وإنْ اختلفتْ أشكاله، وصفاته.. الطعام هنا هو الأسماك.. لذا فالإفطار علَى عقربٍ هو إفطارٌ فريدٌ.

أستيقِظُ حزينًا.. لا أدري لذلك سببًا!

أتوارَى من سخونةِ الجو رغم كوننا في بدءِ النهار! ألتهمُ بقايا سمكة مِن إفطارِ أمس.. أعتقد أنني أصبحت بخيلًا.. الأقرب للصحة بتُّ حريصًا.. فحتَّى السمك صار عزيزًا..

شعرتُ بالملَلِ سريعًا.. كنت في الماضي أُصابُ بالملَلِ عند انتصاف النهار، الآن بات الوقت كلُّه مُملًّا!

لم أجد غير كتاب جدِّي..

سلوتي الوحيدة هنا.. لا أحد غيري يجيد القراءة.. كان جدي حريصًا على ذلك في وقت كان غيره حريصون على إنقاذِ أرواحهم من الطوفان.. كيف علم جدِّي أن إنقاذَ روحي في تعلُّمِ القراءة؟..

الكتابُ ضخم فعلًا.. جهد عقُود.. أتحسَّس غلافه السميك.. أتأمَّل خطه الأنيق: **"تاريخ البشريَّة"**.. ميراث ثقيل يا جدِّي.. أتراني أستحقه؟

اليوم ذكرى ميلاد جدَّي العظيم.. في ذلك اليوم منذ مائة عام وُلِدَ ذلك الطفل الجميل.. تحديدًا في: 1 / 1 / 2000 م تاريخ فريد كذلك الذي نعيشه اليوم.. منذ قرن من الزمان ولد جدِّي في عالمٍ مختلف..

كانت الحياة طبيعيَّة إلى حدٍّ ما على كوكب (**الأرض**)..

البشرية تُودِّع عامًا، وتستقبل عامًا جديدًا.. ترمِي خلف ظهرها قرنًا –**هو الأهم في تاريخها**– وتنتظر قرنًا جديدًا يحمل الخير للجميع.. غير أنَّ ذلك لم يحدث أبدًا!

كثرتْ حينها الأقاويل، والتنبُّؤات عن نهايةِ العالَم عام (2000)... قيام الساعة، الحياة على القمر.. الحرب العالميَّة الثالثة.. وغيرها، وغيرها من التكهُّنات بما سيحمله ذلك العام المُرتقب، لكنه جاء والإنسان كما هو على سطح (**الأرض**).. يحمل من أوزارهِ حربين عالميَّتين فقط، وتطوُّر علمي مُرعب..

نشأ جدي في عالَمٍ مُضطرب سياسيًّا، متدهور أخلاقيًّا، ومُلوَّث بيئيًّا...

تعلَّم تعليمًا عاديًّا، وامتهن مهنةً قد أوشكتْ على الانقراض حينها، وهي التدريس.. تمَّ تعيينهُ مُدرِّسًا في عام: 2025 م.

يحكي لي عن ذلك الشاب الطَمُوح الذي يُعيَّن بمدرسةٍ بلا تلاميذ!

في تلك الأثناء كانت آخر عهد الحكومة بالتعليم.. سنوات أخرى ورفعت يدها عن الأمر.. أصبح التعليم بالمنزل.. كلُّ شيء عن طريق الحاسب الآلي..

لكنهم نسوا دور المُعلِّم، وما يقوم به من تأثيرٍ في نشأةِ الأجيال..

وهكذا وجد نفسه يعمل، ولا يعمل.. موظف بلا وظيفة.. مُعلِّم بلا تلاميذ.. زملاؤه اتجهوا لِمهنٍ أخرى كثيرة.. أمَّا هو فقد اختار التأليف..

قرَّر جدِّي أنْ يكتب في المادةِ التي يعرفها جيِّدًا، ويحبُّها بعشق.. قرَّر أنْ يكتب التاريخ.. خمسون عامًا هي مدَّة تأليف الكتاب.. هو تاريخ، وتأريخ.. عدد لا حصر له من الصفحات.. هو بحقٍّ موسوعة الموسوعات..

لقد استشرف جدِّي نهاية العالم.. وقرَّر أنْ يكتب تاريخ البشريَّة، وعلَّمني القراءة.. رُبما كنت أنا تلميذه الوحيد.. الأوَّل، والأخير..

لكن اليوم بمَ يفيد ذلك التاريخ؟.. مَن يقرأ غيري؟.. مَن يهتم بشيءٍ غير البقاء.. سواء هُنا، أو بـ(**المرّيخ**).

* * *

مِن كِتاب (**تاريخ البشريَّة**):

"... هذا ومن كوارث، وأخبار ذلك العام (2014) م البيئية ما يلي ذِكره:

* كارثة بيئية تُهدد الثروة السمكية بالسويس بمصر..

* انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في اليابان تبلغ مستوى قياسيًّا..

* البحر الأبيض المتوسط مهدد من جديد..

* وزارة البيئة تقاضي أمانة بغداد لتسببها بتلويث نهر دجلة..

* 12 مليون طن سنويًّا حجم المخلفات المنزلية في السعودية..

* فرنسا تخطط للتخلص من استخدام الديزل..

* الصين تقول إنها لن تتهاون مع ملوِّثي البيئة..

* تلوث الهواء يكلِّف أوروبا المليارات..

* ارتفاعٌ في تركيز الدقائق العالقة بالهواء في العراق..

* النفايات الخطرة تؤدي إلى نشر السرطان والفيروسات..

* الضباب الدخاني يهدد الملايين..

* 269 ألف طن من البلاستيك في المحيطات تهدد الكائنات البحرية..

* حرق الفحم هو الملوث الرئيسي للهواء في الصين..

* مواد كيميائية جديدة تلوث مياه الأنهار والبحار..."

* * *

تتِّجهُ الشمس للغرُوب.. رُبما تلك هي الحقيقة الوحيدة التي ما زالت ثابتة، لم تتغير.. الأفق الأحمر ينعكس على صفحة المياه الزرقاء.. مخلِّفًا لونًا ساحرًا يمتد على مدَى البصر، وعلى مدَى البصر يتهادَى ذلك القارب المُتهالك!

يطفُو على الصورة كنقطةٍ ضئيلة سرعان ما تلبث لتكبر شيئًا فشيئًا.. في نفس الموعد تقريبًا كل يوم يقترب في حذرٍ من الهرم الأكبر كقطٍ أدمن السرقة..

لا يجرُؤ على الظهورِ نهارًا؛ تمامًا كالخفافيش.. ينتظر قدُوم الليل، وحلُول الظلام ليتقدَّم في خسَّةٍ عرفها عنه الجميع..

يَحوِي على ظهره مجموعة من حُثالة البشر!.. كل وظيفتهم في الحياة هي انتهاك الحُرمات، ومخالفة القوانين.. رغم أنه لم يعد هناك قوانين بشريَّة، لكن حتَّى قوانين الطبيعة ضربوا بها عرض الحائط..

أمسُوا يقتاتون على ما يسرقونه من (**الأرضيِّين**).. رغم كونهم يشاركونهم الحياة على الكوكب ذاته إلا أنهم لا ينتمون إليه!.. هم لا يغادرون المياه.. لا ينتمون لهم، ولا لـ(**المرِّيخيين**)..

باتوا كوكبًا بذاته.. كوكبًا من القذارة، الهمجية، والشر.. هم مَكمن الخطر الحقيقي لـ(**الأرضيِّين**) الذين يَعلمون تمام العِلم بأنَّ أي غفلة منهم ستكُون فرصتهم ليدمِّرُوا ما صنعوه خلال سنوات من حفاظٍ على دورةِ الحياة البشرية.

❋ ❋ ❋

الفصلُ الثالث

في الأعلى

المريخ

هُنا في الأعلى..

لا تعب، لا شقاء، ولا عناء..

لا راحة، لا استرخاء، ولا هناء..

لا حرب، لا صراع، ولا فساد..

لا سلم، لا تصالح، ولا استقامة..

هنا منطقة رماديَّة بين الأبيض، والأسْود..

خط فاصل بين الجنَّة، والنار..

هدوء يسبق العاصفة..

وربما عاصفة تسبق الهدوء..

هنا

(**يوتوبيا**) جديدة..

بالتأكيد تختلف عن تلك التي ذكرها الدكتور "أحمد خالد توفيق"[1] ..

هنا كل شيء بارد، جامد، وسخيف..

بينما في الأسفل الحياة كما أتمنَّى...

وكما سأُريد.

* * *

تناولتُ جرعتي الصباحيَّة من ماءِ العَرَق المُعالَج، وأصبحتُ قادرًا على الحياة ليومٍ آخر جديد..

يوم جديد لا هدف منه، ولا أمل فيه..!

أرتدِي ثيابي الثقيلة، وأتنزه عبر شاشات المُحاكاة..

هنا كل شيء عبر الشاشات..

التنزُّه، التطلع، المُحادثات، وحتَّى الزواج..!

---

[1] (يوتوبيا)- رواية مصرية شهيرة، صدرت عام: 2008 م

يُصيبني الملل سريعًا..

أنتقل للدردشة.. أجد **"سوزان"**...

- صباح الخير..

- صباح النور..

- كيف حالك..؟

- بخير، وأنتَ..؟

- مُصاب بالملل..

- هههههه، وما الجديد في ذلك..؟

- الجديد أنه تلك المرَّة الملل لا علاج يفيد معه..

- حتى وأنت تحادثني..؟

- بصراحة.. نعم..

- .....

- آسف..

- لا عليكَ.. كنت أتمنَّى أنْ أساعدك..

- لا ذنب لكِ فيما أصابني من سأمٍ، لكنها شخصيتي..

- وبماذا تفكّر..؟

- وتحتفظين بالسرِّ..؟

- في بئرٍ..

- بئر! من أين أتيتِ بتلك الكلمة..؟

- هههههه سمعتها ذات يوم من أمِّي، التي أخبرتني بدورها أنها سمعتها من أمها..

- نحن هنا في بئرٍ فارغ كبير..

- ألهذا الحد تشتاق للماء..؟

- هو اشتياق للحياة..

- المُهم..

- حسنًا.. سأنزل لأسفل..

- مجنون!

- وليكن..

- هنا الأمان..

- هناك الأمل..

- هنا الراحة..

- هناك الإثارة..

- قد تفقِد حياتك..

- أنا هنا أفقدها بالفعل..!

* * *

بيان رقم (**528**) لحكومة كوكب (**المرّيخ**):

"شعبنا العزيز..

بعد عقود طويلة من الانفصال، والهجرة من كوكب (**الأرض**).. قرَّرنا خوض مغامرة جديدة لمصلحة كوكبنا الغالي..

فرغم متابعتنا لحركة السُكَّان السُفليِّين عن طريق شاشات المراقبة، إلا أننا نحتاج في الوقت الحالي لتبادل بشري لاستكمال ما بدأناه من بحثٍ، ودراسة..

لذا فقد فتحنا باب الهجرة للكوكب السفليِّ.. وعلى مَن يرَى في نفسهِ القدرة على تلك الرحلة الخطرة التقدُّم عن طريقِ الشاشات..".

* * *

مرَّت عشرة أيام على بيانِ الحكومة الجديد، ولم يتقدَّم سواي..!

اليوم يتم غلق باب استقبال الطلبات.. قلبي يدق بعنف، لم تَحدث لي إثارة مُشابهة منذ سنوات.. ربما منذ لقائي الجنسي الأوَّل عبر الشاشات..

كان ذلك مِن عدَّةِ سنوات، وقد بَلغتُ، وقرَّرتُ الزواج..

الزواج هنا يختلف عن الزواجِ في الأسفل.. نشاهد علاقاتهم عبر الشاشات.. علاقة حيوانيَّة.. هنا تخلَّينا عن العلاقة الحسيَّة المُباشرة، واستبدلناها بعلاقةٍ عقلية راقية..

تختار مواصفات معينة لشريكك، لتظهر لك قائمة بالأشخاص المُتاحين.. تتقدَّم بطلبٍ، وتنتظر الموافقة، ثم تبدأ في العلاقة عبر الشاشات، وإنْ أراد الطرفان الإنجاب فإنَّ لذلك إجراءات أخرى مَعمليَّة لحفظِ النوع ليس أكثر.

ارتبطتُ بـ"**سوزان**".. لكنِّي مللتها كما مللتُ كل شيء..

والآن فرصتي الأخيرة للتجديد..

ساعات أخرى، ويتم الإعلان عن قبولي للرحلة..

ساعات، ويتم بعثي من جديد..

سأتركك يا **"سوزان"**.. سأترك أنبوبتي اللعينة، وشاشات العرض، والمُحاكاة.. لأكُون أوَّل (**مرِّيخيٍّ**) يهبط على كوكبِ (**الأرض**)..

سيُخلِّد التاريخ اسمي..

تمامًا كما خلَّدَ تاريخهم يومًا **"نيل آرمسترونج - Neil Armstrong"**[2]

لكن لماذا لم يُقدِم غيري على تلك المغامرة..؟

ذلك ما بدأ يخيفني.

* * *

- ما هذا..؟

هكذا سأل الرئيس، مُظهرًا جهله بما أشار إليه الرجل (**الإسرائيلي**)، فابتسم الأخير مَزهُوًّا، وردَّ عليه بينما انتقلتْ الشاشة إلى صورةٍ أوضح:

- هذا هو طوق النجاة بالنسبة لنا..

بدا الضيق على الشاب المُستنسخ، وقال بنفادِ صبر:

- لا نرى غير شيء أشبه بكتابٍ، لكنه ضخم لدرجة كبيرة..!

---

[2] رائد فضاء أمريكي، وأول إنسان يهبط على سطح القمر.

أجاب (**الإسرائيلي**):

- هو بالفعل كذلك يا صديقي.. إنه تاريخ البشريَّة.. ذلك الكتاب الأسطوري، والذي يحمل بين طيَّاته كل ما نحتاج إليه لنكمل حياتنا على هذا الكوكب الجاف..

اعتدل الرئيس في جلسته، وبدا أكثر جديَّة، وهو يهتف قائلًا:

- الآن فهمت سبب البيان الأخير الذي أرسلته للشعب عبر الشاشات..

ثم وجم مرَّة أخرى، وهو يقول:

- لكن ما العلاقة بين ذلك الكتاب، وبين البيان..؟!

كان ذلك السؤال كفيلًا بأن يجعل (**الإسرائيلي**) يختال كطاوُوسٍ، وبينما بدأ يشرح لشريكيهِ في الحُكم خطته الشيطانيَّة، كانت عيناهما تشعَّان ببريقٍ خاص جدًّا.

الفصلُ الرابع
في الأسفـل

الأرض..

"..القُطب الشمالي هو موطن لحياة برِّية مُدهشة..

من الدببة القطبية الساحرة، إلى كركدن البحر الغامض..

لكن كل هذه الكائنات تعتمد على الثلوج لتحيا.

وهذه الثلوج تختفي بسرعة مُرعبة..

بدون هذه الثلوج سيكون بقاء هذه الكائنات الساحرة مهددًا بالخطر..

إذا لم نأخذ خطوات عملية قريبًا.

يُحذر الخبراء من أن الدببة القطبية قد تختفي تمامًا من القطب الشمالي خلال (100) عام..".

* * *

يَحكِي لي جدِّي عن الأمر، وعلى وجههِ علامات الأسَى:

".. كان القرن الحادي والعشرين قد انتصف، وقد وصل تلوُّث البيئة لمنتهاه.. سنوات مرَّت منذ بداية القرن، ولم تفلح تحذيرات خبراء وعلماء البيئة في وقفِ عمليات التعدِّي على الطبيعة..

ساءَ الطقسُ يومًا بعد يوم، وتغيَّر المناخُ تمامًا.. انقلبتْ الفصُول، وحدثتْ الكوارث..

بعضُ علماء الغرب انتبهوا للمصير المُخيف للأرض، وكالعادة كان العرب نيامًا..

كان الخطر الأعظم في الاحتباسِ الحراريِّ، وما نتج عن ارتفاعِ حرارة الجو.. بدأتْ مياه القطبين الشماليِّ والجنوبيِّ المتجمِّدين في الذوبان، فيضان كبير اجتاح الأرض..

كل ذلك وأنا أُسجِّل في كتابي!..

أرصُد الحاضر، وأذكُر الماضي، وأتنبأ بالمستقبل.. رُبما اعتبرته سفينة "نوح".. أردتُ أنْ أحفظ تاريخ البشريَّة من الضياعِ، من الغرقِ، رغم سخرية الجميع..

كان والدك يساعدني.. ربما كنا الوحيدين اللذين يعملان في الشرق.. بينما كان الغرب قد رأى النجاة في الهجرة لكوكبٍ آخر هو (المرِّيخ)..

وبدؤوا بالفعلِ في بناء مستوطنات في الأعلى.. وتم تهجير عدد قليل مِمَّن اعتبروا مغامرين في ذلك الوقت، آخذين معهم ما خفَّ وزنه، وعظمت قيمته العلميَّة..

حتَّى حدث الفيضان العظيمْ..".

* * *

مرَّ وقتٌ طويلٌ دُون أنْ أصطاد سمكة واحدة..

الجوع يقرصني.. عظامي تبدو بارزة من أسفل الريش الذي أرتديه.. يتسنَّى لنا من حين لآخر رؤية أحد الطيور.. نراها تحُوم حولنا.. بقايا كائنات على وشكِ الانقراض.. تطير فوق الماء لتشاركنا

اصطياد الأسماك، فنصطادها نحن.. تكُون وليمة بحق، ونصنع من ريشها ما يستر عورتنا.

أخيرًا ظهرتْ.. أمسكتُ جيدًا بحربَتي، وأخذتُ وضع الاستعداد، وصوَّبتُ... سمكة هزيلة، لكنها تُغنيني عن الخضوع لذلك (**المرِّيخي**) الذي هبط إلينا منذ أيام..

لا يعجبني.. لا يكف عن الأسئلة.. لهجته مُتعالية، ونظافته مُنفِّرة..

يعطِي للمُتطوِّع كبسولة صغيرة تشعره بالشبعِ أيامًا طوال.. لكن تلك السمكة الهزيلة ستؤجل ذهابي إليه.

ضربتُ الصخرتين بعضهما ببعض حتَّى أوقدتُ نارًا.. الجو ساخن بِما يكفي لأنْ تطهُو الطعام بمجردِ وضعه على الصخور.. بعد الغداء فكَّرتُ في ذلك المُهاجر.. قرَّرتُ أنْ أذهب إليه اليوم، الآن..

أنْ أذهب إليه وأنا شبعان أَفضل من ذهابي إليه وأنا جائع.. لا أريده أن يشعر بضعفي.. لكنِّي قرَّرت تأجيل المقابلة حتَّى أقرأ قليلًا في الكتاب...

* * *

".. بدأتْ جميع المُدن في الغرق.. جاءت النهاية من أطراف الكرة الأرضيَّة.. ككماشةٍ أحكمتْ أنيابها علينا.. المياه لم تجعل أخضر، ولا يابس.. حضارات، تكنولوجيا، ثقافات، علوم، وفنون.. كل شيء دفن تحت الماء..

أصبح العالم كله قارة (**أطلانتس - Atlantis**)[3] ..

لم ينجُ غير المُهاجرين إلى (**المرّيخ**)، وبعض الأذكياء من سكانِ (**الأرض**) الذين عرفوا أين سيكون طوق النجاة..

العرب صرفوا كل ما يملكون من أموال النفط على حماية (الكعبة)..

عندما بدأت بوادر الفيضان، قاموا بحفر شبكة صرف عظيمة حول (الحرم المكِّي)، حتى تبتلع أي مياه قادمة، وترمي بها في الصحراء..

كما قاموا برفع (الكعبة) عاليًا، وبناء أسوار تحميها حتى لا يهدمها الماء.. نجحوا في ذلك، لكن لا أحد يحجُّ إليها اليوم إلا نادرًا..

أما طوق النجاة فكان هنا.. في (مِصر).. حيث مهد التاريخ.. وبدء الحضارة..

---

[3] قارة افتراضية أسطورية لم يثبت وجودها حتى الآن بدليلٍ قاطع.

البقعة الأخيرة الآمنة في الأرض كانت على الهرمِ الأكبر..

عددٌ قليل من الشباب في ذلك الوقت هو من فكَّر في ذلك، وآووا إلى هرمٍ يعصمهم..

تجمَّع فوق الهرم خليط من سكانِ الأرض.. مِن مختلفِ الجنسيات، والأعراق، واللهجات.. غير أنه سُرعان ما وحَّدتهم الحياة القاسية الجديدة..

ذابتْ الفوارق بينهم.. دون قصد نشأت بينهم لغة جديدة خاصة، جمعت لغاتهم جميعًا.. حرارة الشمس الحارقة وحَّدتْ لونهم كذلك فلم يعد هناك أبيض، ولا أصفر..!

الكل أضحى بلونِ الليل.. عادوا للحياة البدائيَّة فوق صخور كبيرة لا تعطيهم سوى الحماية مِن المياه، وعليهم بعد ذلك الصراع مع الطبيعةِ للبقاء..

صراع للأكل، للتكاثر، للاحتماء من أشعَّةِ الشمس القاتلة..".

* * *

- ماذا تريد..؟

- أنت من جاء ليقابلني..!

- أنت من هبط على كوكبنا..

- وهل أنت المتحدِّث الرسمي عن كوكبكم..؟

- بلَى..

- هه! حسنًا يا مُتحدِّث.. اسمي "**إبراهام**"..

- أنا "**إبراهيم**"..

- التشابه بيننا في كلِّ شيء حتَّى الاسم..!

- ربَّما، إنْ تغاضينا عن فارق اللون..

- هنا الشمس حارقة بالفعل..

- هنا نقيض كوكبكم..

ارتفاع الحرارة هنا أذابت المياه المُتجمدة في أنحاءِ الأرض، فغطَّى الماء كل شيء.. في الأعلى كان يوجد ماء قبل ملايين السنين، لكن انخفاض درجة الحرارة جعل كل شيء يتجمَّد، فلا وجُود لمياهٍ طبيعية، لتصبح الصخور كل شيء..

- عجبًا..! كيف عرفت كل ذلك عنَّا..؟!

- قرأتُ عن ذلك في كتاب (**تاريخ البشريَّة**)..

- تاريخ البشريَّة..؟!

- بلَى.. هو من تأليف جدِّي..

- هل بإمكاني الإطِّلاع عليه..؟

- ليس قبل أن تخبرني عن سببِ تلك الزيارة لأرضنا..!

* * *

ظللتُ أسبح لوقتٍ طويل..

السباحة هنا لم تعد مهارة خاصة يعرفها البعض، ولا يتقنها الآخرون.. السباحة باتت كعمليةِ استنشاق الهواء.. نُولد بها.. لا أحد يُعلِّمها لنا.. هي ضروريَّة ضرورة البقاء..

كنت أحاول أن أُرتِّب أفكاري بالاسترخاءِ في الماء..

ذلك "**المرِّيخي**".. "**إبراهام**"، أو أيًّا كان اسمه.. ماذا يريد منَّا حقًّا..؟

لماذا هبطَ علينا، وقام بزيارة كوكبنا بعد كل تلك الأعوام..؟

لكن ما يخيفني..؟ هل عندنا ما يجلب طمع الآخرين..؟

هل نخشى على شيء، هذا إن كنَّا نملك شيئًا في الأساس..؟

لكننا نمتلك بالفعل..

الكتاب..

نمتلك الكتاب.. أمتلك الكتاب –**بما أنني القارئ الوحيد هنا**–..

(تاريخ البشريَّة)..

هُم بلا تاريخ..

مُجرد بضعة عقود في الأعلى..

يحاولون أن يصنعوا حضارة..

الحضارة هنا، حتى وإن كانت تحت الماء..

تتزاحم الأفكار برأسي..

أقوم بالغطسِ.. أمكث تحت الماء وقتًا طويلًا..

لا يزعجني كتم أنفاسي.. أصبحنا أشبه بالأسماك.. حتى جلدنا أصبح كجلد السمك، ينقصنا فقط (خياشيم).. أتصوَّر بأنها ستظهر لدَى الأجيال القادمة.. ليصبح الإنسان من **(البرمائيات)**..!

حكى لي جدِّي ذات يوم عن (**فيلمٍ سينمائيٍّ**)[4] يتحدَّث عن ذلك..

يحلُو لي الطواف حول رأس (**أبي الهول**).. أنظُر لأنفهِ المكسور.. هنا عراقة لا يعرفها الكثيرون.. أصل، وجذور.. هنا أصالة لا يعيها ذلك "العُلوي"..

مرَّة أخرى حضوره يسيطر على تفكيري..

على حجارةِ الهرم، وعلى سطح الماء، وحتَّى هنا تحت الماء..؟!

يبدو أنَّ عليَّ الجلوس معه مرَّة أخرى ليرتاح فيضان هواجسي.

* * *

لأوَّلِ مرَّة لا يُغادر القارب في الصباح!..

رُبما استشعر ساكنوه بالقوةِ، والدعم.. أو ربما فطنوا إلا أن زيارة "**المِرّيخي**" قد ألهتْ (**الأرضيِّين**) عنهم..

كان جاسوسًا منهم، قد اقترب في غفلةٍ مِن الجميع، ليستمع لكلِّ ما دار من حديثٍ بين الجانبين، ورغم عدم استيعابه للأمر برمتِه إلا أنه قد دبَّرَ – **كالعادة**– للخيانة..

---

[4] فيلم (**عالم الماء water world**)، للنجم الأمريكي: "**كيفين كوستنر**".

هم على استعدادٍ دائمٍ للغدر، التواطؤ، والمؤامرة.. لا يفكرون سوَى بأنفسهم.. مصلحتهم، ثمَّ مصلحتهم.. ربَّما لهذا فكَّر فيهم الـ(**مرِّيخيون**).. ربما لأنَّهم: (**القرازقة**)!.

الفصلُ الخامس

القرازقة..

مع العقُود الأولَى من القرنِ الحادي والعشرين نشبَت حروب عديدة، وقامت صراعات مُختلفة... هجمات إرهابية، نِزاعات قبليَّة، فتنة طائفيَّة، مجاعات، وثورات...

كل عملية من تلك العمليات كانت تُخلِّف وراءها ضحايا كثيرين، ومستنفعين أكثر!.. كل حرب، أو غزو كان يترك بصمته على الإنسان أكثر مِمَّا يتركه في المكان..

العجيب أنَّ الضحايا، والمستنفعين اتحدوا!.. المهزومون، والمقهورون صاروا يدًا واحدة.. جمعهم الحرمان، وقاربتْ بينهم الأطماع..

سنوات مرَّت، وبدأ هؤلاء الأفراد في تنظيم عملهم، والتخطيط لحياتهم.. هُم خليط غريب من قاعِ المجتمع.. وحَّدتْ بينهم الظروف

القاسية.. كانوا أشبه بطفلٍ مُعقَّدٍ اختلف أبواه، وتصارعا، فكبرَ مُشوَّهًا نفسيًّا، لينتقم منهما!..

كثُر عددهم، وقويتْ شوكتهم، ولكونهم هجين مِن القراصنة، والمُرتزقة، فلم يكن غريبًا أن يُطلق عليهم: **"قرازقة"**.

* * *

ضمَّت تلك الجماعة -**المُسمَّاه "القرازقة"**- بين طيَّاتها أسوأ أنواع البشر: (لصوص، قُطَّاع طرق، قتلة مأجورين، مُختلِّين عقليًا، هاربين من العدالة، جواسيس، مُهربين، و... و.... إلخ)..

العجيب أنَّهم رغم اختلاف جنسياتهم، وثقافاتهم إلا أنهم انصهروا في بوتقةٍ واحدة.. عاملين على زيادة قوَّتهم، واتساع رقعتهم.. تمامًا كما فعل الـ(**صهاينة**) في أوائلِ القرن العشرين.. حتَّى فرضوا على الجميعِ خشيتهم..

أصبحوا من أحد عوامل خراب (**الأرض**).. أحد الديُون التي أُجبرتْ على سدادها الحكومات المُتعجرفة.. فقد كانوا ثمارًا لما زرعُوه

من شرٍّ ملأ العالم.. الأكثر من ذلك لقد كانوا من أسبابِ هروب الصفوة إلى (**المرِّيخ**)!..

لقد أضحتْ "**القرازقة**" كابوسًا بشعًا يعيشه العالم.. أوشكوا أن يهدموا المعبد على من فيه.. ما فعلوه من جرائم يشيب لها الوِلدان.. فاقوا في عنفهم، ودمويتهم التتار، والصليبيين..

كانوا يقضون على الأخضر واليابس.. الضار والنافع.. حتى قالت الطبيعة كلمتها، وأغرقتْ كل شيء.. هنا فقط تم القضاء على "**القرازقة**"، إلا أنَّ فرقة قليلة منهم كانت من الناجين..

وكأن الحياة تأبَى أن يمُوت أحد طرفي الصراع الأزليِّ!.. كان لا بد من تواجدهم ليحملوا راية الفساد في (**الأرضِ**).. بقوا ليزدادوا وحشية، وشراسة.. ليمثلوا دور النذالة بإتقانٍ شديد..

صبروا كثيرًا حتَّى جاءتهم أخيرًا الفرصة.. جاءت مع مجيء "**المرِّيخي**".. مع احتياج "**العُلويين**" لـ"**السُفليِّين**".. مع ظهور أهمية ذلك الكتاب الكنز.

* * *

عندما فشلتْ الحكومة المرِّيخيَّة في الاستيلاءِ على كتابِ (**تاريخ البشرية**)، قرَّروا الاستعانة بتلك الجماعة الإجرامية التي ما كان منها سوى أن رَحَّبتْ من فورها..

فهبطتْ مركبة من (**المرِّيخ**) لتأخذ معها عددًا من "**القرازقة**"، ليتفاوضوا مع الحكومة.. وبالفعل كان بينهم، وبين الرئيس هذا الحوار:

- مرحبًا بكم على كوكبكم الثاني..

- أهلًا..

- يا ترى هل تعلَمون لِمَ طلبناكم؟..

- في الحقيقةِ لا..

- حسنًا.. نريدكم في مهمةٍ بسيطة، لكنها تهمُّنا بشدة..

- مقابل؟..

- ألا تتمهَّل حتى تعرف ما هي المُهمة؟!..

- لا يهم.. فنحن قادرون على فعلِ أي شيء.. أهم شيء هو المقابل..

- حسنًا.. المقابل هو أن نُمكِّنكم من الصعودِ على الهرمِ الأكبر، واحتلاله بالكامل، ليصبح ملكًا لكم..

برقتْ عين كبير **"القرازقة"** لذلك العرض المُغري، لكنها برقتْ أكثر من ذلك النعيم الذي يعيش فيه أهل (**المرِّيخ**).. وبينما يشير للرئيس أنْ يكمل عرض طلبه كان يُدبِّر لخطةٍ أُخرى تمامًا!!.

❋ ❋ ❋

الفصلُ السادس

تاريخ البشريَّة

"... هل كان يتخيَّل أكثرنا تشاؤمًا ما سيؤُول إليه حال (**الأرض**)..؟

هل تصوَّر أحدهم ذلك المصير المُخزي، وتلك النهاية المُفجعة..؟!

ليتهم استمعوا لي، ليتهم اهتمُّوا بما أكتب..

لكن منذ متى وهُم يعيرون أحدنا أي اهتمام؟

إنهم لا يستمعون سوى لصوتِ أنفسهم فقط، وكأننا لسنا بشرًا مثلهم!

لو كانوا ادخروا ما أنفقوه على بناءِ تلك المستوطنات (**المرِّيخية**)، وأنفقوه على حلِّ المشكلات البيئية التي واجهناها، لكنَّا عبرنا الأزمة بسلامٍ..

لا أعتقد أنهم الآن بالأعلى سعداء، قد يكونون في أمانٍ، لكنَّهم كالأسدِ حين يخرجونه من بيئتهِ الطبيعية، ويسكنُونه بحديقةِ الحيوان..

لا يكُون مَلك الغابة ملكًا سوى في مملكتهِ.. في الحديقة هو بدون تاج الوقار.. يتساوى مع فأرِ التجارب، أو عصافير الزينة..

في (المرِّيخ) هم في نهايةِ الأمر ضيوفٌ.. غرباء..

بلا ماضٍ، ولا حضارة، ولا تاريخ..

أنا وحدي أملك التاريخ، وسأُورِّثه لحفيدي من بعدي..

ليظل الأصل هنا، والنسخة هناك..

الجذور في الأرضِ، والفرع في السماءِ..

ومهما نظروا لنا باحتقار سيظلون بحاجةٍ إلينا، وإلى كِتابنا..

سيسعون يومًا للحصول على ما تبقَّى لنا..

أنا على يقينٍ أنَّهم سيحاولون سرقة تاريخنا..

تاريخ البشرية..".

* * *

- مرحبًا..

- تضايفني في بيتي..؟!

- بيتك..؟!

- نعم..

- وهل امتلكت الهرم الأكبر..؟

- كل شبر هنا هو ملكي، وملك كل أرضيٍّ..

- لكني إنسان..

- بل مرِّيخيّ..

- أنت عنصري إذن..

- أنتم العنصريون.. أنتم من عزلتم أنفسكم في بروجِكم العالية، ونسيتمونا.. تركتمونا نعاني، ونقاسي وحدنا..

- لا تحملنا نتيجة غبائكم..

- أي غباء..؟! هل بات النُبل، والشرف، والوفاء غباء..؟!

- تتحدَّث كقدِّيس..

- بل كرجلٍ يتحمل المسؤوليَّة..

- السفينة كانت تغرق، وكان علينا الفرار..

- أخيرًا اعترفت.. الفرار..

لا يفر من المواجهة غير الجبناء.. القُبطان الشريف لا يترك سفينته تغرق، ويقفز في الماء.. بل يموت واقفًا بعزَّةِ نفس.. الفارس النبيل لا يُدْبِر من المعركةِ مهما كانت النتيجة.. كان عليكم تحمُّل عاقبة أفعالكم.. كان ينبغي أن تجدوا الحل هنا، لا فوق..

- وأنتم، هل فعلتم شيئًا..؟

- على الأقل واجهنا بشرفٍ.. حاربنا الطبيعة، واحتفظنا بتاريخ البشريَّة..

- تاريخ البشريَّة! أين هو..؟ ألم أطلبه منك..؟

- لا شأن لكَ به.. ماذا تريد منه..؟

- الاطِّلاع عليه..

- لا يحق لكَ..

- لكنَّك وعدتني..

- ليس قبل أنْ تخبرني السبب وراء زيارتك هذه..

- وتصدِّقني..؟

- لا أعدك بتلك..

- حسنًا.. لقد أخذني الحنين للأرض..

- أحسنت.. خدعة جيدة..

- بل الحقيقة.. الحقيقة التي ربما لم أستطع البوح بها فوق.. "**إبراهيم**".. ماذا كان اسم جدَّك..؟

- "**نوح**"..

- أستحلفك بما لجدِّك "**نوح**" من محبةٍ في قلبك أن تصدِّقني..

- ثُمَّ..؟

- سأحكي لكَ كل شيء، وإن أحسست بصدق كلامي أدعوك للبوحِ لي أنتَ الآخر..

- سأحاول..

- أشكرك.

* * *

".. هل سمعت عن (**الديناصورات**)..؟

هل تعلَم لِمَ انقرضت..؟ لأنها لم تستطع أن تتكيَّف مع المُتغيرات البيئية التي واجهتْ الأرض منذ ملايين السنين..

نحن على (المرِّيخ) نشبه (**الديناصورات**).. لم نتمكَّن –**رغم مرور عقُود**– مِن التكيُّف مع البيئةِ بالأعلى..

لذا نواجه شبح الانقراض.. أتبتسم..؟! لكنِّي لا أمزح..

نحن البشر مخلوقون من طين.. مكاننا الطبيعي هنا، في الأرض.. حيث الطين، والماء..

على (**المرِّيخ**) لا يوجد طين، ولا ماء..

لذا مهما حاولنا، وكابرنا، فلن تستقيم الحياة إلا هنا.. على (**الأرض**)..

هُم في الأعلى يعرفون أنَّ النهاية قادمة لا محالة، وأنَّ الثورة على الأبواب.. الشباب بدأ يثُور على حياةِ الشرنقة التي يحبسوننا فيها هناك..

إنَّ مَن يرانا يظن أننا في راحةٍ، لكن هل المريض الذي هو طريح الفراش، هل هو في راحة..؟ هو بالفعلِ نائم، ولا يبذل أي جهد، لكنَّه مليء بالأوجاع..

وقد بدأتْ بالفعل أصوات تُنادي بالعودةِ للأرض..

هم يظنونا بلا قيمة، لكن دائمًا الشباب هُم مَصدر القوة، والتغيير.. حاولوا إلهاءنا بفتحِ باب الزيارة لـ(**الأرض**)..

الحكومات كما هي.. على (**الأرضِ**)، أو على (**المرّيخ**).. أجمل ما فيكم أنكم بلا حكومة.. بلا حاكم..

دائمًا ما يحاولون إلهاء شعوبهم بأيِّ شيء.. لكنَّهم تلك المرَّة قدَّموا لنا ما نريد.. هم يعتقدون أننا لن نتحمل قسوة الحياة هنا، رُبما أصابوا في ذلك بدليل أنني الوحيد الذي رغب في النزول إليكم، لكنِّي على يقينٍ بأنَّ البقية تأتي..

إنَّ حكومتنا تكابر بنفسِ الغرور المعهود للإنسان..

ذلك الكِبر الذي هو أول رزيلة وجدتْ في الوجودِ، حين رفض «**إبليس**» السجُود لـ«**آدم**»..

حكومتنا تأبَى أنْ تعترف بفشلها.. لا تريد إعلان هزيمتها.. لا تستطيع أن تجد الحل..

لكنِّي أؤمن بأنَّ الحل هنا..

الحل صدقني بين يديك..".

* * *

".. تتدافع شركات النفط العملاقة خلف نفط القطب الشمالي..

الشركات المُتهوِّرة تريد احتلال القطب الشمالي الهش.

والمغامرة بحدوث تسرُّب نفطي..

فقط من أجل ما يقارب ثلاث سنوات من النفط!

إذا تم السماح لشركات النفط بالحفرِ في هذه المنطقة البعيدة، والمنعزلة من العالم؛ لن يصبح سماعنا لخبر حدوث تسرُّب نفطي هو قضية "كيف".. قدر ما سيصبح قضية "متى"..

النفط السام قد تسرَّب أسفل الجليد لأعوام؛ ليلوِّث الأراضي، وحياة الناس التي أصبح القطب الشمالي موطنهم لآلاف السنين..

تسرُّب نفطي واحد قد يؤدي لآثار كارثية طويلة الأمد على النظام البيئي للقطب الشمالي بأكمله.."

* * *

".. مَهما حكيت لكَ عن معاناتنا هنا لن تُصدِّق..

إنَّ أصعب المعارك هي تلك التي يكُون الخصم فيها الطبيعة.. لو كان الخصم بشرًا، أو حتى جنيًّا لهانت الدنيا.. لكن أنْ تقاوم الطبيعة القاسية.. فذلك أمرٌ يتطلَّب صبرًا، وجلَدًا، وحكمة..

أجيال تحمَّلت ما لا يتحملَّه أحد..

لا تتخيَّل معنى أنْ تُطوِّع الحجارة لتصبح سكنًا لك.. أن ترتدي الريش لتستر به عورتك.. أن تتحمَّل قسوة الطقس، وشدةِ الجوع..

قد تمرُّ عليك أيام بلا طعام، وإن وجدته بعد ذلك فيجب أن تُصارع مِن أجلِ الفوز به..

أنْ تقذف بأخيك الميِّت في الماءِ لأن لا تراب لديك تُهيلهُ عليه، ولا حتَّى غُراب يعلِّمك كيف تواري سوءته..!

تتغذَّى على جثَّته الأسماك، وأنت تصطادها بعد ذلك لتأكلها..

هل جرَّبت أن تتغذى علَى سمكةٍ تعرف لتوِّك أنها كانت تتغذى على جثَّةِ أخيك..؟

صار كلٌّ منَّا (روبنسون كروزو - Robinson Crusoe)[5]

كان مُمكنًا أن نتحمَّل كل ذلك لو كنَّا نعرف أننا بمفردنا.. لكن أن نعلم أن هناك من هو في الأعلَى حيث الراحة، والهدوء، ورُبما أيضًا يتفرج علينا دون اكتراث، فذلك ما كان يشعرنا بالحنق..

شعور بالظلم، والاضطهاد.. إحساس بالقهرِ، والدونية..

لو كانت القيامة قد قامت لكانت أهون مِمَّا نحن فيه، ولو كنتم مكاننا لما تحمَّلتم ما تحمَّلناه..

لقد أوشكنا على الجنون، لكني مُوقن أنَّ الحل لديك..

صدِّقني الحل عندكم.. هناك..".

* * *

".. القُطب الشماليُّ هو مكيِّف العالم..

لكن نتيجة التغيُّر المناخي يدفأ القطب الشمالي بمُعدل أعلى مرتين عن باقي أرجاء العالم..

في الثلاثين عامًا الماضية اختفت (75 ٪) من ثلوج القطب الشمالي..

---

5 بطل رواية إنجليزية عالمية شهيرة بنفس الاسم.

تعكس الثلوج في القطب الشمالي كثيرًا من أشعة الشمس، وتعيدها إلى الفضاء مرة أخرى؛ لتبقي كوكبنا عند درجة برودة كافية لحفظ توازن النظام المناخي الذي نعتمد عليه لنموِّ طعامنا..

لكن بسبب استخدام مصادر الطاقة الأحفورية قد يصبح القطب الشمالي خاليًا تمامًا من الثلوج في الصيف..

ما قد يساهم في زيادة مستوَى مياه البحار، والتأثير على نمط الطقس في العالم، ليزيد من معدلات التدفئة عالميًّا..

هذا الأمر لن يكون مُدمرًا فقط للإنسان، والحيوان في هذه المنطقة من العالم؛ بل أيضًا علينا جميعًا.."

❄ ❄ ❄

الفصلُ السابع

الحل

- هل أنت واثق من قرارِك هذا..؟

- تَمام الثقة!..

* * *

بيان رقم (**529**) لحكومة كوكب (**المرِّيخ**):

نظرًا لتخلُّف المواطن المرِّيخي "**إبراهام**" عن موعد عودته المقرَّرة من قِبَلِ حكومتنا، ونتيجة لعدم احترامه موعد انتهاء رحلته لـ(**الأرض**)..

فقد قرَّرنا حرمانه من دخول كوكبنا مرة أخرى، وبقاءه في الأسفل مع (**الأرضيِّين**)..

كما قرَّرنا وقف، ومنع أي رحلات تتجه إلى هناك.

* * *

".. أبدأ اليوم في كتابةِ الجزء الثاني من (**تاريخ البشرية**)..

لم أفكِّر أبدًا في أنَّه سيكُون هناك جزء ثانٍ لعمل جدِّي العظيم، رُبما لأنني لم أتخيَّل أن يكون لتاريخِ البشريَّة جزءًا آخر..

فبعدِ عقُود من المعاناة اعتقدتُ أنني فقدتُ القدرة على الكتابة، كما اعتقدت أن البشرية إلى زوال..

خاصة كوكب (**الأرض**) بعد ما حلَّ عليه من كوارث.. كنت قد آمنت في لحظة ما أن الإنقاذ سيأتي من فوق.. من أعلى..

ربما فقدتُ الثقة في نفسي، وفي مَن حولي، وفي (**الأرضِ**) ذاتها.. حتى هبط إلينا ذلك (**المرِّيخي**)..

هو أوَّل من نبَّهني إلى أننا نملك نصف الحل.. وهو ما دفعني بدوري للتفكير في النصف الآخر لذلك الحل..

لقد وصلنا بعد تفكير طويل إلى أن الحلَّ في اتحادِنا سويًّا..

فنحن نمتلك التاريخ، وهم يمتلكون العِلم.. نحن لدينا الماضي، وهُم لديهم الحاضر..

بالتاريخ، والعلم فقط نستطيع أن نحقق مستقبلنا..

لقد رفض صديقي العودة إلى أعلى مرَّة أخرى.. ربما بعد أن أطلعتهُ على كنزي.. وقد أصدر كوكبه بيانًا بحرمانهِ من العودةِ مرَّة ثانية..!

المُذهل في الأمر أن شباب (**المرّيخيّين**) قاموا بثورة كبيرة، وبدؤوا في النزول إلينا واحدًا تلو الآخر..

لقد تمرَّدوا أخيرًا على حكومتهم الواهنة، وعلى أنظمتهم الفاشلة..

واليوم امتلأتْ (الأرض) بهم.. يفكِّرون، ويخططون لتغيير الواقع، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه..

المُضحك هو ما فعله هؤلاء **"القرازقة"**..

فكما يقول المثل: (**من حفر حفرة لأخيه وقع فيها**)..

لقد هاجموا حكومة (**المرّيخ**)، وأثاروا الفوضى في أرجاء الكوكب.. فكانوا لأولِ مرةٍ –**وإن كان دون قصد منهم**– ذوي نفع للثورة التي قام بها الشباب..

أخيرًا تخلَّصنا من شرِّهم، فهنيئًا لهم بـ(**المرّيخ**)، وهنيئًا بحكومتهِ بهم.. والآن..

نعرف أن المشوار طويل، لكن الهدف نبيل..

فالحُلمِ يستحق،

المستقبل يستحق،

الأرض تستحق.

شكرٌ خاص..

إلى كتَّابٍ كبار، أثَّروا في أجيالٍ من الشباب:

الأستاذ/ محمود سالم.

الدكتور/ نبيل فاروق.

الدكتور/ أحمد خالد توفيق.

❋ ❋ ❋

المحتوى

إهْدَاءٌ.....5

مُقدِّمةٌ.....7

الفصلُ الأوَّل شاطئٌ بِلا مياه! 9

الفصلُ الثاني ميـاهٌ بلا شاطئ 20

الفصلُ الثالث في الأعلى..... 28

الفصلُ الرابع في الأسفـل..... 36

الفصلُ الخامس القرازقة..... 47

الفصلُ السادس تاريخ البشريَّة..... 52

الفصلُ السابع الحل 63

شكرٌ خاص.. 67

❄ ❄ ❄